عموري السعيد

أستاذ محاضر – ب–

قسم اللغة العربية وآدابها

مقياس تحليل الخطاب الشعري المعاصر .سنة 2 ماستر .تخصص أدب جزائري

إشكالية القراءة في النص الشعري المعاصر:الشعر الحداثي

إنّ نص القصيدة العربية المعاصرة على غرار النص الأدبي السردي، تميّز بتعدد مصادر الإنتاج، وعناصر التدلال الفاعلة في تشكل العلامات النصية، نظرا لانفتاح النصوص وزحام الخطابات النقدية الفاعلة في تطويرها، وانفتاح الثقافة العربية على غيرها من الثقافات العالمية، ودخولها صراع العولمة من بابه الواسع، الأمر الذي انعكس على فلسفة الإبداع بعامة وعلى لغة الإبداع بصفة خاصة، كونها الأساس في قيمة النص التواصلية، حتى شهد نص القصيدة عصرا جديدا من التنويع الشكلي والانزياحي، قدمت من خلاله بطاقة هوية جديدة بمعايير العصر الجديدة وبلغة ثرية كثيفة الدلالات وبتوظيف قوي يعمق الدلالة ويفتحها على القراءة وعلى التأويل، وبأسلوب شعري يبتعد عن المقصدية المباشرة أو

المباشَرة الموضوعية التي ميّزت نمط القصيدة العربية التقليدية، الأمر الذي أعطى الإبداع الشعري نفسا جديدا، في أشكاله وفي موضوعاته تحديدا عند ما اصطلح عليه بقصيدة النثر.

الشعر الحداثي–كما يسميه يوسف الخال– **أو** قصيدة النثر كما اصطلح عليه وجه من أوجه تفاعل حركة الشعر ومفاهيم الحداثة والتحولات الاجتماعية والسياسية والثقافية الحديثة في الوطن العربي وكانت نتاج ثورة أدبية قوية فقد« شكلت ظاهرة قصيدة النثر إحدى الظاهرات الحداثية التي وسمت الحداثة الشعرية العربية في الخمسين سنة الأخيرة»[1] وأضحت من أكثر النصوص إثارة للجدل النقدي، بخاصة عبر صفحات **مجلة شعر** التي أسست لبيئة نقدية جديدة رافقت الشعر الحداثي تنظيرا وتطبيقا نظرا لارتباطه بموروث شعري ونقدي راسخ في الأذهان وفي الأذواق وقد قدّمت المجلة رؤيتها للقضايا المتعلقة بالإبداع بعامة وبالشعر بخاصة فصاغت مفاهيمها على أسس ميزها التحرر والانفتاح.

---

[1]– آصف عبد الله، الحداثة الشعرية وقصيدة النثر مجلة الموقف الأدبي – اتحاد الكتاب العرب بدمشق – العدد 343 تشرين الثاني1999.

يعتبر الشعر الحداثي عند النقاد الجدد لحظة كاشفة ورؤيا تلج إلى ما وراء الظواهر المتناقضة والمشوشة بغية الوصول إلى الانسجام الكوني والحقيقة، ولا يتحقق ذلك إلا باللغة، ومهمة الشاعر ليست المدح أو الهجاء أو الفخر أو غيرها مما عرف بأغراض الشعر، ولكنها في رأي يوسف الخال« النفاذ إلى ما رواء واقع الحياة لرؤية ملامح الأمل والخلاص»[1].

الشعر بنفاذه إلى وراء الظواهر يعني أنه فن أو تعبير جميل في لحظة رؤيا، يخاطب العقل ولكن لا يلتزم قوانينه وقواعده؛ أي إن الشاعر–عند الشعراء الجدد– متحرر من كل ما من شأنه أن يحد من حرية تعبيره من قيود الحياة، مع الاحتفاظ بميزة وخصوصية القول الشعري (الانتظام والانسجام) ما جعل مفهوم الحرية والالتزام يعرف ثورة نقدية عارمة، يقرر يوسف الخال بأن «استخدام الحرية أصعب من استخدام القيود»[2] وتبعا لدعوى إطلاق يد الشاعر من القيود فإن قضية اللغة شكلت أكبر المحاور النقدية عند الشعراء الجدد، فقد اعتبرت لغة الشعر أساسا في إغناء اللغة وبقائها حية؛ لأن الكلمات في الشعر أكثر منها معنى في النثر

---

[1]–يوسف الخال الحداثة في الشعر الحداثة في الشعر، دار الطليعة، بيروت، 1978.ص91.

[2]–المرجع السابق، ص83.

والشاعر يحمّل الألفاظ من المعاني أكثر مما تحمله في الأذهان[1]. والحرية تقتضي عدم الالتزام لذلك فإن للشاعر الحرية المطلقة في إيجاد «نحوه الخاص وإيقاعه الخاص»[2] وله أن ينهل من أي مصدر يثري معجمه الشعري ويحقق أسلوبه المميز لأن الشاعر لا يخترع اللغة وإنما يعيد إنتاج الأساليب الموروثة الراسخة في الأذهان وفي الذوق وإرغامها على تحقيق الفردي، والخاص وعلى الشاعر أن يتعامل مع الموروث بمنطق الشد من الوسط؛ بحيث يمنح لنفسه متسعا من الحرية في التعاطي معه وأن يطوعه للتعبير عن تجربته. وهو المحك في التميّز والعبقرية.

القصيدة الحداثية لا تلغي الموروث ولكن تقر حق الحرية في التعامل معه، لأن الحياة مستمرة ومتجددة لذلك فإن النقاد الجدد رأوا أن التجديد يكون على المستويين الشكل والمضمون والازدواجية بين المعنى والوجود الشعري ملغى تماما؛ لأنّ القصيدة وحدة عضوية لا تتجزأ [3] وتطويع الأساليب في رأي **خالدة سعيد** لا يكفي بل لا بد للقصيدة الحديثة تعويضها بقالب حداثي يعتمد تشخيص الفكرة وإلباسها سلوكا وعواطف لأنّ الشاعر المجدّد« يعمد إلى اختراع جو شعري تتسرب عبره

---

[1]–نفسه ص 31

[2]–نفسه ص93.

[3]–المرجع السابق، ص29.

إلى القارئ ايحاءات تلك الفكرة»[1] فالقارئ في الشعر الجديد كما في النقد الجديد محك أساس في الإبداع الشعري، والقصيدة الحداثية تعيره اهتماما كبيرا على اعتبار أن الفن لم يعد للمتعة فقط ولا لأداء وظائف جمالية بل تعدى ذلك لأداء الرسالة الإنسانية في رحلات الكشف والتجلي، لذلك فإن قصيدة النثر قدمت –بين حقيقة الإبداع ورساليته– مفهوم الغموض في مستوى لغة القصيدة عكَس ثراءها وقوتها ولكنه غموض من النوع الذي «لا يحول بين(القارئ) وبين الاستمتاع بما يقرأ، فهو غموض يشف حتى يغدو جذابا مؤثرا يطيل أمد التأثير الذي يشجع القارئ على إعادة النظر في القصيدة، ليكتشف في كل مرة يقرأها شيئا جديدا»[2] **أي** إن في الشعر غموض جميل هو العمق الذي يحفز على القراءة والتقرب من النص واكتشافه والدهشة في تلقيه.

إن القصيدة المعاصرة الحرة أو القصيدة النثر أثبتت وجودها على الرغم مما قيل وما زال يقال حول تحررها، ففي النهاية –يقول الراحل محمد عمران– التسمية« لا تهم، ما يهم هو كمية الشعر في هذه الكتابة الجديدة التي نسميها

---

[1]– خالدة سعيد، البحث عن الجذور، دار مجلة شعر، بيروت، ط1، 1960،ص46.

[2]–إبراهيم محمود خليل، النقد الأدبي الحديث، من المحاكاة إلى التفكيك،دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ط2،2007، ص203.

تجاوزاً، قصيدة النثر، لقد تسلل هذا الشكل الكتابي إلى حياتنا الأدبية وصار جزءاً من مشهد ثقافتنا الشعرية المعاصرة، المعافى منه شعر جميل سوى أنه نادر، وهو غير متوافر سوى لدى الشعراء السحرة وهم بعدد أصابع اليدين».[1]

قصيدة النثر التي كثر الجدل حول هويتها، وككل تنوع شعري يحاول تأصيل مجاله التعريفي وتحديد مصطلحاته ومفاهيمه عرفت لغة خاصة وجديدة، نهلت – إلى جانب التراث العربي– من مصادر غربية وعالمية شتى، جمعت بين الفكر والفلسفة وبين الأسطورة والتاريخ إلى هموم الإنسان وآماله، طغت عليها بنيات تشكيلية مشفرة، وسّعت من دائرة مفاهيمها الأساسية كموسيقاها الداخلية والخارجية وصورها وتشكيلها اللغوي والانزياحي، جعلت من قراءتها الأولى **قراءة استفهامية**، تطرح أسئلة عديدة عن المعنى وعن سيرورة إنتاجه وانتقاله، عبر علاماتها اللغوية والايقونية، ما يطرح قضية غاية في التعقيد، هي قضية انفتاح النص الشعري على القراءة، أو تواصلية قصيدة النثر مع القارئ فيما يعرف في الدرس اللساني بحلقة الكلام، وتتساءل عن كيفية تجسيد علاقة التأثير والتأثر بين خارج النص وداخله

1– آصف عبد الله، الحداثة الشعرية وقصيدة النثر. مرجع سابق.

من جهة، وبين العلامات النصية **المشفرة**، وانفتاحها على القارئ من جهة أخرى؟.

إن اتجاهات النقد الجديد النصانية ترى في النص الأدبي نظاما يتشكل أساسا من اللغة، وعلى اعتبارها ظاهرة اجتماعية فإنّ إشكالية القراءة تتصل بخاصية التواصل اللغوية أولا كمفتاح لأنواع التواصل الأخرى، وبالتالي إشكالية انفتاح أو انغلاق بنية النص على أفق القراءة، كما دعت إليه الدراسات النقدية المعاصرة؛ حيث يرى الناقد **فولفغانغ إيزر** أن « نظرية الفينومينولوجيا نبهت بإلحاح إلى أن دراسة العمل الأدبي يجب أن تهتم ليس فقط بالنص الفعلي بل كذلك وبنفس الدرجة بالأفعال المرتبطة بالتجاوب مع ذلك النص فالنص ذاته لا يقدم إلاّ جوانب مرسومة يمكن من خلالها أن ينتج الموضوع الجمالي للنص»[1]، تلك الجوانب المرسومة تمتد تأثيراتها إلى ما تشير إليه وتوحي به بواسطة الكتابة كأول شكل نصي مكون من علامات لغوية، واعتبرت الدراسات السيميائية أن النص لا يكتمل إلا بفعل القراءة، وتعترف بأن فعل القراءة متغير بتغير المعطى المعرفي للناقد وللقارئ، وفي تحليل الشعر «تؤكد جماعة (تل كل tel quel) الفرنسية على أن

[1]–فولفغانغ إيزر، التفاعل بين النص والقارئ، ترجمة: الجيلالي الكدية. مجلة دراسات(سال) فاس، المغرب، عدد7 ص7.

النص ليس نظاماً لغوياً مغلقاً كما ترى البنيوية الشكلية، وإنما هو عدسة مقعرة لمعان ودلالات معقدة، ومتغايرة، ومتباينة، في إطار أنظمة ثقافية واجتماعية وسياسية سائدة. ومن هنا فإن النص، أي نص، هو غير مكتمل. وعملية استكماله تتم بوساطة قراءته»[1] ، وهذا إثبات من جهة أخرى بعدم ثبوت النص وانفتاحه على القراءة من خلال تحيين علاماته بالواقع خارج النص.

على الرغم من أن نظريات التلقي وجماليات القراءة قد أسالت الكثير من الحبر في الوسط الثقافي العربي بعامة، فإن أهميتها تبقى في محور تفاعل القارئ مع البنيات اللغوية وغير اللغوية في المستوى السطحي –كدوال– وانفتاحه على البنيات العميقة للنص، وكيفية تشكيل حلقة تواصله مع النص شعريا كان أم نثريا، وقد اقترح الناقد الايطالي الشهير **Umberto Eco** في كتابه **القارئ في الحكاية Lector in Fabula** تحليلاً لما يسميه **بالقراءة المتعاونة أوالمستجيبة،** غاية التحليل كما يراها العالم الإيطالي هي(دراسة كيف يبرمج النصُ شكل تلقيه، ودراسة ما يقوم به القارئ وبالأحرى ما ينبغي أن يقوم به القارئ الفطن كي

1– محمد عزام، مقاربة سيمائية لقصيدة عربية، مجلة الموقف الأدبي، دمشق، سوريا، عدد تموز 243، 1991

يستجيب على نحو حسن للنداء الكامن في البنية النصية)[1]. وما يميّز النداء الحسن–كما سماه الناقد–هو غنى التشكيل وانفتاحه على القراءة والتفسير وآفاق التأويل، الذي يجعل من سلسلة الاتصال والتواصل حلقات متحققة.

ارتباط القراءة بالتشكيل اللغوي للنص وقضية تفكيك نسيج البنية السطحية له، قضية شائكة لم يقل فيها الدرس النقدي كلمته الأخيرة، كما لم يوضع القلم بعد في قراءة الثلاثية المتلاحمة أو عناصر الرسالة وحلقة الكلام الإبداعي (المؤلف/النص/القارئ)، ذلك أن عملية القراءة والتأويل للعناصر النصية أو للعلامات المشكلة للنسيج النصي في قصيدة النثر تخضع لزاما لأدوات علمية منهجية وإلا صارت القراءة فوضى عارمة قد لا تخرج من حدود الانطباع، وقد يغالى فيها حتى تلج متاهات السفسطة والعشوائية وشطحات التهويم الفكري، الذي يسم النص الشعري بسمة اللامعنى واللاجدوي ويخرج القصيدة عن رساليتها وبالتالي يقطع حبل التواصل الإبداعي.

قراءة النص الشعري هي فعل زمني افتراضي للقراءة مشروط مبدئيا بسَلك وجهة يحددها النص، سيرورة زمنية أيضا تتكاثف معها سياقات الدلالة بتكاثف

---

[1]. حسن مصطفى سحلول، نظريات، القراءة والتأويل الأدبي وقضاياها، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2001. ص.13

شروط الإنتاج التي يغتني بها النص، وتمثل السيرورة من جهة أخرى، وزمنيا أيضا، تطوّر مستويات توليد المعنى انطلاقا من أول مستوى لغوي حتى آخر مستوى ينفتح على نموذج القراءة والتأويل؛ فالنص الشعري كل موحّد بأجزاء فاعلة، تفرض أي دراسة للقصيدة تحديد توصيفي لعناصر هذا الكل.

قائمة المصادر والمراجع:

[1]- إبراهيم محمود خليل، النقد الأدبي الحديث، من المحاكاة إلى التفكيك،دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ط2007،2،

2-آصف عبد الله، الحداثة الشعرية وقصيدة النثر مجلة الموقف الأدبي – اتحاد الكتاب العرب بدمشق – العدد 343 تشرين الثاني1999.

3- حسن مصطفى سحلول، نظريات، القراءة والتأويل الأدبي وقضاياها، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2001.

4- خالدة سعيد، البحث عن الجذور، دار مجلة شعر، بيروت، ط1، 190.

5 -محمد عزام، مقاربة سيمائية لقصيدة عربية، مجلة الموقف الأدبي، دمشق، سوريا، عدد تموز 243، 1991

6-فولفغانغ إيزر، التفاعل بين النص والقارئ، ترجمة: الجيلالي الكدية. مجلة دراسات(سال) فاس، المغرب.